

حيث البساسيري وجيوشه ، وخرج البساسيري ومعه أمراؤه  
للقائه ، وفي ذلك يقول المؤيد « إلى أن لقينا أبو الحارث  
البساسيري والمسكر البغدادي على رحلتين من الرحبة ، وإذا هم  
قد ضربوا مصافهم وضرب خيلنا مصافه ؛ فرأيت المسكر تلاحق  
ميمنة نحو الجبل وميسرة طرف الفرات ، وسمعت الأبواق تخرق  
الحجب بالأصوات ، ورأيت أقطار الهواء كأنها صبغت حمراء  
وصفراء من أصباغ الرايات ، ودخلنا الرحبة دخولا عليه من آثار  
السعادة وهم ، وتجاوزناها إلى شاطئ الفرات فنصبنا الخيام  
ووسطت جمعا جمع كل قاطع زقاق ، وكل جلال من الناس ودقاق ،  
تراموا إلى تلك البقعة من كل آفاق تركي وكردى وعجمي على  
اختلاف الجنس وعربي من كل طامع ذي ناب من الطمع  
حديد »

أخذ المؤيد بعد ذلك اليهود والموائيق على الأمراء ، وخلع  
عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التي لم يشاهدوا لها مثلاً ، وهب  
كل فريق نصيبه من الأموال ؛ فكان بعضهم يأخذ نصيبه  
شاكراً ، وبعضهم كان يستقل القدر ويرده طمعاً في المزيد ،  
وتذمراً أكثر الجنود وطالبوا بزيادة العطاء ، وانتشردعاة السوء  
بينهم ، فحاول المؤيد أن يرضيهم بالحسنى فلم يوفق . وأخيراً  
اضطر إلى أن بأنهم وأن يسامحهم باليمين التي أقسموها بين يديه

الآخرين من آتهم الصوفية بأنهم إباحيون يطلبون اللذة الجنسية  
الخشيسة في جميع أحوالهم ، حتى جاء الأستاذ خشبة فافتأت  
عليهم هذا الباطل الذي ليس فوقه من باطل

إن الكلمة الأخيرة من الأستاذ خشبة قد هتكت لنا ستار  
ضميره ، وكل ما قاله عن رسائل التعليقات يدل دلالة واضحة  
على أنه لم يكن نافداً ، بل كان مشوهاً ومشنماً ، فهل كان هذا  
منه بدافع من محمسه الديني ، أو كان بدافع آخر . وإلا فليس  
من آداب البحث والنقد ، ولا من العقول ، أن يهرف ( ١ )  
برسائل التعليقات كل هذا ( المرء ) من دون داع إليه  
وآخر ما نقول ، هو أن الرصافي إنما يكتب للحقيقة ،  
ولا لأغراض أخرى ، فإن أصاب فله المن والفضل ، وإن أخطأ  
فأجره من الله مأمول ، وعذره عند كرام الناس مقبول .

( الرصافي )

على هامش ذكرى المعري

## « داعي الدعاء » مناظر المعري

للدكتور محمد كامل حسين

— ٣ —

استجاب ابن صالح الردامي صاحب حلب دعوة المؤيد ؛  
فدخل المؤيد حلب ومعه خزائن الأموال والسلاح والخلع ومكث  
مدة يستريح ويدبر أسرها هو مقدم عليه ، ثم أخذ يرسل الكتب  
إلى أمراء العرب والأكراد يستميلهم إليه وإلى المذهب الفاطمي  
ويدعوهم للقيام لنصرته ضد طغرابك ؛ فاستجاب له بعضهم مثل  
ابن مروان صاحب ديار بكر وابن الأحزم الخفاجي صاحب  
الكوفة وابن قائد صاحب واسط ووعدوه جميعاً بإمداده بالجنود  
كما أقاموا الدعوة في بلادهم باسم المستنصر الفاطمي ، وقد حفظ  
لسا المؤيد في سيرته نص رسائله إلى أمراء العرب وجوابهم له  
مما يجعل « السيرة المؤيدية » وثيقة تاريخية لها قيمتها لمن يدرس  
العالم الإسلامي في القرن الخامس من الهجرة  
سار المؤيد ومعه خزائنه وجيوش ابن صالح حتى بلغ الرحبة

قلنا الصوفية فلا نمنى بهم هؤلاء وإنما نمنى بهم رجالاً من  
الأصفياء الأبرار ، أولى النفوس الزكية والتفكير الحر ، القائلين  
بوحدة الوجود

ولكن الأستاذ خشبة قد أبي ضميره المدفوع إلا أن يخلط  
هؤلاء بهؤلاء ، ويحملهم كلهم فئة واحدة ، ويوسمهم ذمماً  
وثلباً ، لا سيما القائلين بوحدة الوجود ، فإنه قد شدد عليهم  
النكير ، وشنع عليهم قولهم بوحدة الوجود كل تشنيع ، وعبر  
عنهم بالأنجاس ، ولم يستثن منهم أحداً حتى الجنيد وأمثاله ممن  
تقدم عليه أو تأخر عنه . ولم يكتب بذلك حتى أخذ يذكر  
قراء الرسالة بما كتبه علماء الدين في الماضي من ذمهم وتوهمتهم ،  
كأن ذلك كأقوال القدماء من فلاسفة اليونان ، شيء لا يعلمه  
أحد إلا الأستاذ خشبة

ومما يدعو إلى الحيرة والمعجب ، أننا لم نرى الأولين ولا في

وأظهروا أن الأمر إنما هو أمر الدين قبل كل شيء؛ فعادوا جميعاً يعتقدون إليه وجددوا التمسك بين يديه، وبعد أيام دعا أبا الحارث البساسيري وخلع عليه وقرأ عهده على الناس في يوم مشهود. ثم علم المؤيد أن نور الدين بن مزيد الأسدي وهو رجل للعرب إذ ذلك وأكبر أسماهم قد تم على طغرلبيك، فانهز المؤيد هذه الفرصة وكانه ليحتمه على اللحاق به والانضمام إليه؛ فذهب ابن مزيد إلى الرحبة ومعه جماعة من العلماء والأسراء، وأخذ يفرض المؤيد في شروط الانضمام إليه وتحالفه معه، كما أرعز ابن مزيد للعلماء بمناظرة المؤيد أمامه في بعض المسائل الدينية والمؤيد مضطر إلى أن يصطنع الصبر، وأن يدهن ابن مزيد ومن معه، حتى قبل ابن مزيد بعد لأي أن يقسم يمين العهد بين يدي المؤيد؛ فكذب المؤيد له العهد ونفبه «بالأمر سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفي أمير المؤمنين»، ومع ذلك كله أخذ ابن مزيد يطالب المؤيد بأمر من شأنها أن تقسم الجيش وتبعد ابن صالح والمؤيد يقابله بشيء من المكر والدهاء، ويحاول أن يسمي بين ابن صالح وابن مزيد، ولكن سفيه (كان سمي امرئ بن ضباع تهارش، وذئاب تتجارح وتتجارش «فالجيش كما قلت كان من أجناس مختلفة ومذاهب متباينة تدب فيه روح التشاحن والتباغض، مما جعل المؤيد يصبح وعمى في التوفيق بينهم، وفي ذلك يقول المؤيد «وكنيت أصبح وأمسي في أبواب من انقطعت به الحبال، وضاعت على يده الأموال، وضاعت به من المهم السهول والجبال، غير أني أظهر في خلال ما أقاسيه جلدأ، ولا أشمرت بمجازات صدرى أحداً، وازداد الأمر سوءاً بورود نجدة من دمشق من بعض الأمراء السكبيين الذين سرعان ما ضجوا وتذمروا زعماً منهم بأنهم جردوا على أن يشهدوا بجيش القبائل المربية خارجاً عن جماعة الأتراك والأكراد، فاضطر المؤيد إلى أن يعزبهم بالأموال الجزيلة، وأن يضاعف عطاءاتهم، فساروا مع باقي الجيش إلى أن ظفروا بالانتصار على جيوش طغرلبيك في رمضان سنة ٤٤٨ في موقعة سنجار، وهي الموقعة التي أشار إليها ابن حيوس الشاعر بقوله:

عجبت لدعي الآفاق ملكاً وغايته بينداد الركد  
ومن مستخلف بالهون يرضى يناد عن الحياض ولا يذود

وأعجب منهما سيف بمصر تقام به بسنجار الحدود وابتصار المؤيد في هذه الموقعة استطاعت جيوشه أن تدخل الموصل في شوال، واستطاع كذلك بعض الأمراء الذين ترددوا من قبل في مخالفة المؤيد أن يسارعوا بالانضمام إليه وشد أزره، وأن يقيموا الدعوة في بلادهم باسم المستنصر الفاطمي صاحب مصر ولكن الجيش عاد إلى الانقسام وانفصل عنه بنو عقيل، وتبعهم عدد كبير، وانهز طغرلبيك هذه الفرصة فأسرع للانتقام منه، كما أن الكندي وزيره أخذ في الاتصال بالأمراء الذين انضموا للمؤيد، وأخذ الكندي يمدعهم ويمنهم بالولايات المختلفة فاستجاب له بعضهم، ولما رأى البساسيري حالة جيشه اضطر إلى الحرب؛ فتشقت بذلك شمل جيش المؤيد الذي كان في الرحبة، وكان يظهر للناس جلدأ ويشجعهم ويقوى من نفوسهم ويحاول لم شعنهم. أما في قرارة نفسه فكان كما وصف نفسه، «وأنا في باطن أمرى متكفناً متخبطاً أنتظار تخبط الأيدي لي من كل مكان، وأجمع أمرى على أنه إن ذهني ما أحذره ريمت بنفسي في جانب البر؛ فلا أزال أضرب فيه إلى أن يحضرنى حاضر الجوع والتعب والعمش فأهلك، وإن أدركني طالب من جهة العدو أبيت أن أعطيه تيادي دون أن أقطع قطعة قطعة تغادياً من أن أفاد إليهم حياً». وأمر القريين إليه بالابتعاد عنه، أو الهرب من الرحبة خوفاً عليهم من سطوات المدو. وأخيراً اضطر المؤيد نفسه إلى أن يهرب من الرحبة؛ فدخل حلب سنة ٤٤٩ ومكث بها يترقب ويكتب الأسراء والقواد، وفي حلب ناظر المرى في مسألة تجريم أكل اللحوم، وهي المناظرات المتداولة المعروفة. وسنة تحدث عنها فيما بعد.

أخذ المؤيد في إرسال الرسائل للأمراء يستميلهم إليه مرة أخرى، ويمدهم النصر على أعدائهم، وكان على صلة بالبساسيري الذي لم ييأس، بل جمع إليه بعض الجند، وكان المؤيد يطلب مقابلته دون أن يفطن أحد إلى هذا اللقاء، فتقابلوا في دير حافر، (وهي قرية بين حلب وبالس)، واتفقا على الخطة التي يجب أن يسيرا عليها حتى ينجح مسماها. ثم جاء إلى المؤيد وفد من قبل إبراهيم بن نبال يطلب في الظاهر الخضوع لطغرلبيك، وفي الباطن يطلب من المؤيد أن يخلع على ابن نبال، ويقلبه إذنا بغير

القاهرة فأسقط في يد الورير ولم يدر ماذا يصنع .

يخيل إلى أن المؤيد لم يجد من الوزير المغربي ما كان أهلاً له وما يجدر بمثله ، ولكن الوزير اضطر إلى أن يكل إلى المؤيد أمر الدعوة ، وبذلك أصبح المؤيد حجة الدعوة وداعياً المطلق راقب « بالرئيس الأجل عصمة أمير المؤمنين » . وبذلك وصل المؤيد إلى ما كانت تصبو إليه نفسه وبلغ أعلى درجات الدعوة الفاطمية فقد أصبحت مرتبته نلى مرتبة الإمام مباشرة ، ولسكنها مرتبة روحية قبل كل شيء ، وليس لصاحبها أن يتدخل في شئون السلطة التنفيذية

لا أستطيع أن أحدد المدة التي مكثها المؤيد في هذه المرتبة ولم يحدثنا أحد من المؤرخين عنه ، ولم يحدثنا هو نفسه عن حياته بعد سنة ٤٥٠ هـ ، وكل الذي وصلنا أن الوزير عبد الله بن يحيى ابن المدبر ( الذي تولى الوزارة مرتين إحداهما في سفر سنة ٤٤٣ هـ وصرف عنها بعد شهر ، والأخرى في ربيع سنة ٤٥٥ هـ وتوفي عنها في جمادى الأولى من هذه السنة ) قد طلب إمام المؤيد من مصر ونفيه إلى الشام فسير المؤيد إلى الشام وعاد إلى مصر بعد مدة ، ولا أدري متى كان ذلك ، ولا أشك أن المؤيد أصبح لثمة بعض النفوذ في مصر حتى خشي الوزير سطوته ونفوذه ، فافترح بإبعاده عن البلد ثم ترى بعد ذلك شيئاً من نفوذ المؤيد إذ تولى صنيعته وكاتبه ونائبه في ديوان الإنشاء أبو الحسن بن الأنباري الوزارة سنة ٤٥٧ هـ ومع ذلك كله حياة المؤيد بعد سنة ٤٥٠ هـ غامضة أشد الغموض إلا ما كان من أمر علاقته بقاضي قضاة اليمن لك بن مالك الذي جاء مصر على رأس وفد من علماء اليمن ومكث في دار المؤيد خمس سنوات وأخذ عنه كل علوم المذهب الفاطمي ، وعاد إلى بلاده يبشر بآراء المؤيد وعلومه ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد . ولا تختلف المصادر في أن المؤيد توفي سنة ٤٧٠ هـ ودفن في دار العلم بالقاهرة وصلى عليه إمامه المستنصر الفاطمي .

دكتور

محمد أمين حسين

بكلية الآداب بالقاهرة

( ينصح )

بمغربك ، وشايح المؤيد وملاك البلاد باسم الفاطميين ، فرحب المؤيد بذلك ، وأمر البساسيري بالرجوع إلى الرحبة ، وتمت المؤامرة بالنجاح ، إذ استطاعت جيوش البساسيري أن تدخل بغداد سنة ٤٥٠ هـ . وأن يدعى على منابرها باسم المستنصر الفاطمي ، وأن يأسر القائم بأمر الله العباسي ، وأن يصلب ابن المسلمة وزيره عدو المؤيد القديم الذي أرسله الخليفة العباسي لأبي كاليجار البويهى لإخراج المؤيد من شيراز ، وقد أظهر المؤيد شيئاً من الابتهاج بصلب هذا الرجل ، وظهر ذلك في شعر المؤيد بقوله :

وعبوس يوم لابن عباس به لاقى الردى متشخصاً لميانه  
إذ بات يعض في ذبول مذلة يمتاض ضيق الحبس عن إيوانه  
وأرى على الصاري ابن مسلمة الذي

ضجت فم الإسلام من عدوانه  
فسمى الإله سجالات رحمة ترى قبر نوى فيه أبو عمراته  
إن ابنه كم من مقام قامه صعباً بثبت جنانه ولسانه  
في رفع رايات النبي وآله وضرايه لعدائهم وطعانه  
واتجه المؤيد إلى مصر ، وفي الطريق قابله صاحب البريد ومعه أمر من الوزير المغربي بأن يعود المؤيد إلى حلب ؛ فدهش المؤيد من هذا الأمر وأخذ يفكر فيه ، وأخيراً استقر رأيه على أن يواصل سيره إلى مصر ، ولكنه فوجئ بأمر ثان كالأول فلم يأبه به وواصل رحيله . فإذا بأمر ثالث مما جعل المؤيد في حيرة من أمر هؤلاء الذين يحاولون منعه من دخول مصر بعد هذه الخدمات التي أداها لهم ، وبعد أن نشر دعوتهم وبسط سلطانهم في قلب أملاك العباسيين ، بل بعد أن أزال سلطان العباسيين من عاصمة ملكهم وبعد أن أسر الخليفة العباسي نفسه ، وبالرغم من وصول هذه الأوامر إليه فقد أصر على دخول مصر وخشى أن يتخذ في سيره إلى مصر الطرق المألوفة فيفاجأ بمثل هذه الأوامر ، لذلك عمد إلى أن يتخذ طريقه في الجاهل ، وسار إلى مصر متنكراً في رحلته إليها ، كما جاءها متنكراً في رحلته الأولى ، فاشعر به أحد حتى رأوه على باب